

الإفادة والاعتماد في الأمور المشاهدة والأحوال المعينة في أرض مصر

لعبد اللطيف البغدادي

بقلم

الدكتور عبد الحليم منتصر

الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس
والمنتدب مديراً لجامعة الكويت

وبعد وفاة ابن الأنباري لزم ابن عبيدة الكرخي
فقرأ عليه كتباً كثيرة منها : الأصول لابن السراج ،
والفرائض والعروض للخطيب التبريزي .

وكذلك قرأ على ابن ناثلي شيئاً في الحساب
والكيمياء ، وفي سنة خمس وثمانين وخمسة ترك
بغداد إلى الموصل فأفاد من الكمال بن يونس شيئاً في
الرياضيات والكيمياء .

وبعد سنة أقامها بالموصل رحل إلى دمشق فالتقى
بكثير من العلماء منهم جمال الدين عبد اللطيف بن
أبي النجيب ، وابن طلحة الكاتب ، واجتمع بالكندي
وجرت بينه وبينه محادثات .

ثم كانت رحلته إلى مصر فلقى من علمائها حينذاك
ياسين السيميائي وكان مشغولاً بالكيمياء ، والرئيس

موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن
محمد بن علي بن أبي سعد . ويعرف بابن اللبان ويابن
نقطة ، ويلقب بالمطجن ، لقصره ودماثة خلقته .

ولد بدار جده بدرب الفالودج ببغداد سنة سبع
 وخمسين وخمسة وحين استوى عوده شغله أبوه بسامع
الحديث ، فسمع من ابن البطي أبي الفتح محمد بن
عبد الباقي وابن زرعة طاهر بن محمد القوسي وأبي القاسم
يحيى بن ثابت الوكيل .

كما أخذ عن أبيه علوم القرآن والأصول وعن عمه
سليمان الفقه .

وحين رحل إلى مصر اتصل بعم ابن أبي أجيعة
وأبيه وأخذ عنهما الأدب ودرس كتب أرسطوطاليس
وحين ترك مصر إلى دمشق شغل بدراسة علم الطب .

وهكذا نشأ موفق الدين حيث ولد في بغداد نشأة
علمية أفاد من الكثير من شيوخها فتعلم لابن الأنباري
كمال الدين عبد الرحمن فحفظ عليه اللغة وقرأ معه
شروحها كما حفظ أدب الكاتب لابن قتيبة كما حفظ
مشكلة القرآن وغيبه ، كما حفظ الإيضاح لأبي علي
الفارسي والمقتضب للمبرد والكتاب لابن درستويه .

(*) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٧ - بقية الوعاة للسيوطي
٣١١ - طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ١٣٢ - أنباه الرواة للقفطي
٢ : ١٦٣ - معجم المطبوعات ١٢٩٢ - شذرات الذهب لابن أبي
أجيعة ٣ : ٣٣٠ - ٣٥٠ - تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٦٢٩)
تلخيص ابن أم مكتوم ١١٤ - ١١٧ - حسن المحاضرة للسيوطي
١ : ٣٢٢ - ٣٢٣ - طبقات ابن قاضي شعبة ١ : ٩٨ - ٩٩ -
مرآة الجنان لليافعي ٤ : ٦٨ - كشف الظنون .

موسى بن ميمون اليهودى الطبيب ثم أبا القاسم الشارعى
وكان مشغولاً بالعلوم الحكيمية .

ورجع موفق الدين إلى دمشق ثم ما لبث أن تركها
إلى مصر يقرئ بالجامع الأزهر وفى سنة أربع وستائة
عاد إلى دمشق وأخذ فى التدريس بالمدرسة العزيزية .
ثم كانت له رحلات أخرى أشهرها رحلته إلى
حلب . وكان حيث حل يفيد ويستفيد ويؤلف ، إلى
أن توفى سنة ٦٢٩ هـ .

ولقد ترك مؤلفات كثيرة منها :

- ١ - قوانين البلاغة .
 - ٢ - الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب .
 - ٣ - الجامع الكبير فى المنطق .
 - ٤ - لغة الحكيم .
 - ٥ - الكلمة فى الربوبية .
 - ٦ - الحكيمية الكلامية .
 - ٧ - تهذيب كلام أفلاطون .
 - ٨ - القياس .
 - ٩ - السماع الطبيعى .
 - ١٠ - المغنى الجلى ، فى الحساب .
 - ١١ - التجريد ، فى اللغة .
 - ١٢ - ذيل الفصيح لثعلب .
 - ١٣ - شرح أحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب .
 - ١٤ - ملخص مقالات التاج ، فى الحلية النبوية .
- وقد اختصر كتباً كثيرة منها :
- ١ - الحيوان للجاحظ .
- وبعد هذا فله كتاب :
- الإفادة والاعتبار بما فى مصر من الآثار .

كتاب الإفادة والاعتبار :

كتاب صغير الحجم ، إلا أنه نفيس ، عظيم النفع ،
ذلك هو كتاب « الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة
والحوادث المعينة فى أرض مصر » ، الذى وضعه

عالمنا ، عبد اللطيف البغدادى ، بعد زيارته لمصر ،
مرة بعد أخرى ، وكان قد نزع إليها فى عهد صلاح الدين
الأيوبي ، وتنقل بين أرجائها ، وجاس خلالها ،
وعاشر أهلها ، وخالطهم مخالطة الدارس الأديب
وتعرف على بيئاتها ، تعرف العالم المحنك ، والأديب
الصافى الذهن ، المتوقد الذكاء .

والبغدادى عالم ، إلا أنه أديب ، وأديب إلا أنه
عالم ، وكان إلى جانب ذلك نباتياً وطبيباً ورحالة عظيماً ،
تُلحظ ذلك جميعاً فى أسلوبه وكتابه ، وطريقة العرض ،
وبراعة الاستقراء ، ولطف المدخل ، وجمال التنسيق .

وقد عنى عالمنا بوصف مصر ، فى فترة من أزهى
عصورها ، وحقبة من تاريخها ، من أغنى حقبة
بالأحداث إذ ليس من شك فى أن عصر صلاح الدين ،
كان من أزهى عصور مصر الإسلامية .

على أن البغدادى ، بعد أن أمضى بمصر زمناً ،
سائحاً ، جائلاً ، دارساً ، مسجلاً ما يرى من مشاهدات ،
رحل بعد ذلك إلى بيت المقدس ، لمقابلة صلاح الدين
الأيوبي ، لينته بانتصاره على الصليبيين ، وقد وصف
تلك المقابلة ، فقال إنه بطل يملأ العن روعة ، والقلب
محبة ، يحف به صحبه ، الذين طبعهم بطابعه ، فى
العزم والقوة والصلابة والكرم .

وقال إن صلاح الدين ، كان يصطفى العلماء ،
ويحسن الاستماع إليهم ، ويشاركهم فى البحث والحديث
ولعل من أسباب نجاح صلاح الدين الأيوبي ، ذلك
البطل الخالد فى التاريخ ، وانتصاره على الصليبيين ،
إلى جانب شجاعته واحترامه وحسن تدبيره ، استشارة
العلماء ، وكثرة جلوسه معهم والاستماع إليهم ، فلم
يستبد برأيه ، ولكنه شارك العلماء فى عقولها باستماعه إلى
مشورتهم وآرائهم . يقول البغدادى ، كان صلاح الدين
يتقدم جنده ويعمل معهم . ويضيف أن صلاح الدين
أكرمه وعظمه ، وأجرى عليه راتباً ، قدره ثلاثون

يقول البغدادي : « إن أكثر الناس إنما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء » .

يقول البغدادي موجهاً الحديث إلى المشتغلين بالعلم « أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب وإن وثقت بنفسك من قوة الفهم ، وينبغي أن تكثر اهتمامك لنفسك ، ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء ، وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تتعجل ، ولا تعجب ، فقع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء ، لم يعرق في الفضيلة ومن ينجلوه ، لم يبيجله الناس ، ومن لم يحتمل ألم التعلم ، لم يذق لذة العلم » . ثم يضيف « إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به ، خطب من كل جهة ، وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور ، وعرضه ودينه مصون » .

حرى بنا أن نقف وقفة عند هذه الكلمة الجامعة ، فما أعرف توجيهاً علمياً ، أكثر سداداً وأرشد رشاداً من هذا التوجيه ، انه يقول لطالب العلم ، لا تقصر همك وكذلك على أخذ العلم من الكتب وحدها ، ولعله يوصي بالتجريب والمشااهدة ومناقشة العلماء وأولى الرأي ، حتى يستبين الرأي ، يقول للمتعلم ، مهما وثقت بنفسك من قوة الفهم ، فلا تقنع بما فهمت ، وما قرأت في ذهنك مما قرأت ، ولا تحسن الظن بنفسك ، بل أكثر من اهتمامك لها ، واعرض خواطرك على العلماء وناقشهم فيما رأيت ، وما درست ، وقارن بين ما فهمت وبين ما سجله العلماء في تصانيفهم ومؤلفاتهم . ثم يتابع توجيه الحكيم قائلاً لطالب العلم ، تثبت ولا تتعجل ، ولا تعجب ، فقع العجب العثار ، ولا تستبد برأيك ، فقع الاستبداد الزلل . وإياك أن يعثر بك الكلال من طرق أبواب العلماء ، وحضور مجالسهم والاستماع إليهم . فإن من لا يعرق جبينه إلى أبواب العلماء ، لا يعرق في الفضيلة ولا ينبغ في العلم ، وبالتالي لا يكتسب مزيداً من علم العلماء وفضلهم ، فهذا الكسب العلمي ،

ديناراً ، وأمره بالتدريس في جامعة دمشق . وأن أهل دمشق قابلوا صلاح الدين بمقابلة الأبطال المنقذين . وقد عاد البغدادي إلى مصر مرة أخرى في عهد العزيز بن صلاح الدين ، وعاد إلى التدريس في الجامع الأزهر بالقاهرة . وقد وصف البغدادي المجاعة القائلة التي حلت بمصر سنة ١٢٠٠ م بسبب عدم فيضان النيل في تلك السنة ، وكان ذلك في عهد الملك العادل . كما وصف زلزالاً شديداً حل بمصر ، فكان مع المجاعة أقسى بلاء حل بالبلاد ، وقد اضطر البغدادي إلى أن يعود إلى بيت المقدس ثم إلى دمشق مرة أخرى .

وكذلك حمل عبد اللطيف البغدادي أمانة العلم ، وإنها لأمانة عظيمة ، لم يتوان يوماً واحداً ، عن أن يفيد ويستفيد ، وإنه ليحمد الله أن حمل عنه الأمانة كثيرون ممن تلاميذه الأذكياء ، وقال إن العلماء لا يموتون أبداً ، إنهم يخلدون في أعمالهم ومؤلفاتهم وآثارهم الباقية ، وعلمهم النافع ، والعالم الحق من يضع لبنه في بناء العلم العظيم .

يقول البغدادي ، وقد وضعت بحمد الله لبنات كثيرة ، لا أطلب من ورائها إلا المغفرة والرضوان وكذلك لا يموت العلماء كما يقول عبد اللطيف ، فها نحن أولاء بعد مئات السنين من وفاته ، نلق في تراثه الخالد ، ونعرض كتابه « الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة في أرض مصر » ، نعرضه في هذه الصفحات راجين أن نكون قد وفقنا في هذا العرض ، أداء لحق هذا العالم الفاضل ، الذي عاش حياته عالماً معلماً رضى الله عنه .

وإنه ليصف في هذا الكتاب مصر ، كما رآها في ذلك العهد ، تحدث عن ازدهار العلوم والمعارف العامة في ذلك العصر ، ولم يكن يعني كثيراً بالكيمياء ، ولا بكتب الشيخ الرئيس ، ولعله كان سيئ الرأي فيه ، وكان من الشجاعة أن يثبت رأيه في هذا العملاق الذي يدين كثير من العلماء والفلاسفة لأرائه ونظرياته ،

طريقه السعى إلى العلماء ، والاجتماع بهم والإصغاء إلى ما يقولون ، والإنصات إلى توجيهاتهم ونصائحهم ، حتى لو أخرجوه ، فإن من لا يبجله العلماء ، لا يبجله الناس ، لأنه لم ينل القسط الكافي من العلم على أيدي العلماء ، ومن أفواههم ومجالسهم ، وإذا لم يحتمل ألم التعلم لا يمكن أن يتذوق لذة العلم ، ثم يبلغ البغدادى الذروة في التوجيه والاستعلاء بالعلم حين يقول : « إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به ، خطب من كل جهة ، وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور ، وعرضه ودينه مصون » .

ما أجدر المشتغلين بالعلم أن يعوا هذه الكلمة الجامعة ، التي يوجهها إليهم البغدادى في كتابه الصغير ، منذ مئات السنين . لعل البغدادى ، قد قرأ قول ابن الهيثم « يكفي قوت يوم » وقرأ قوله المشهورة لأحد الأمراء ، حين رد إليه ما دفعه من مال أجر تعليمه ، وقال « خذ أموالك بأسرها فأنت أحوج إليها مني ، واعلم أنه لا أجر ولا رشوة ، ولا هدية ، في نشر العلم وإقامة الخير » ولعله قرأ كيف رد البيروني للسلطان جماله التي تنوء بأحمالها من النقود ، وكان السلطان قد بعث بها إليه عند ما أهدها البيروني كتابه المسعودى الفلك . هذا الاستعلاء بالعلم هو الذي يستهوى البغدادى ، وهو الذي يدعو إليه ، ويطلب إلى المشتغل بالعلم ، أن يكون بمنأى عما يشين ، وإن العالم الحق ، يسعى إليه ولا يسعى هو إلى جاه ، أو منصب ، وإنما تأتيه المناصب صاغرة ، وتأتيه الدنيا وعرضه ودينه مصون . وهكذا ينبغي أن يكون العلماء حقاً ، كما أراد لهم عبد اللطيف البغدادى ، صوناً لنفوسهم عن التبذل ، واستعلاء بعلمهم عن التدنى ، وكذا وجد في سبيل طلب العلم .

وقد اشتغل البغدادى بالتدريس في الأزهر حيناً ، وكان التدريس بالجامع الأزهر شرفاً يبتغيه العلماء ، وكان الأزهر في ذلك الحين ، كعبة القصاد من علماء

المسلمين ، يحجون إليه من كل فج ، ويشرفون بالتدريس فيه . على أن عبد اللطيف بعد أن أقام بمصر زمناً ، عاد إلى دمشق ، وهناك درس علوم الطب ، التي افتتن بها أيما افتتان ، ثم أباح لنفسه الاشتغال بالطب ، بعد أن تتلمذ على الرازي وابن سينا .

ويظهر أن رحلة عبد اللطيف إلى مصر ، تركت في نفسه أثراً كبيراً حتى ظل يذكرها في كتبه ورسائله وتصانيفه زمناً طويلاً ، ووضع كتابه الذي نعرضه في هذا الحديث عن مشاهداته في أرض مصر ، فتحدث عن النيل وعن الأهرام ، وأسماها معجزة الدهر . وذكر محاولة هدمها في زمن عبد العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وقال عن قراقوش إنه كان رجلاً عظيماً ، خلد أعمالاً باهرة في مصر ، وإنه كان مصلحاً عظيماً ، قضى على كثير من المظالم ، والمفاسد وإنه بنى من حجارة الأهرام نحو أربعين قطرة كانت من العجائب .

ويتحدث البغدادى عن آثار مصر في إجلال وتقدير لفن المصريين القدماء . قال إنه ذهب إلى صعيد مصر ، حيث رأى ما لا يصدق عقل من رسوم وصور للإنسان والحيوان والطير .

ووصف عمود السوارى في الإسكندرية ، فقال إنه من الصوان الأملس غليظ شاق الطول ، وخرج من مشاهداته لآثار مصر ، بأن المصريين القدماء كانوا على علم بالهندسة العملية ، وكانوا على خبرة تامة برفع الأثقال وصناعة الرسم والنقش والتحنيط . ويتابع البغدادى حديثه الممتع ، بأسلوبه السهل الواضح ، عن آثار مصر ومشاهداته فيها ، ويقول إنه زار دار العلم أو جامعة الإسكندرية ، التي بناها الإسكندر ، ولكنها ذهبت ضحية الجهل ، فحين ولى على الإسكندرية في عهد صلاح الدين « قراجا » فكر في الانتفاع بأحجار هذا البناء الضخم ، ذى الأعمدة العظيمة ، وقد استعصى عليه ذلك العمود الكبير ، المسمى عمود السوارى ،

الذى بقى شاهداً على عظمة هذا البناء العتيق ، الذى شهد عصرأ من أزهى عصور مصر العلمية ، حين انتقل العلم الإغريقى إلى مصر ، وكانت جامعة الإسكندرية منارة للعلم فى هذه الفترة السحيقة من التاريخ ، ازدهت بفيثاغورس وبطليموس وغيرهما من علماء هذه الحقبة المجددة فى تاريخ العلم . كذلك ذكر البغدادى أنه زار منارة الإسكندرية . وقال إنها خربت أيام الوليد بن عبد الملك .

وقد امتدح عبد اللطيف فن البناء عند المصريين القدماء ، وقال إنه لم يرمثل مبانيهم فى جميع البلاد التى زارها ، وقال إنهم كانوا يعنون بالأساس الذى يقيمون فوقه البناء ، فيحفرون إلى أن يصلوا إلى الأرض الصلبة ، ثم يرفعون القواعد ويقيمون البناء .

ويسهب البغدادى فى وصف حمامات مصر قائلاً إنها من أعجب الأعاجيب ، ويتحدث فى إفاضة عن مقصوراتها ونقوشها ورخامها ومياهها ، وطريقة تسخين الماء . ووضع طبقة من الملح فى الموقد لتحفظ حرارة الماء ردحاً طويلاً .

ثم ينتقل البغدادى إلى وصف كثير من الحيوانات التى رآها فى مصر ، يقول إنه شاهد أنواعاً مختلفة من السمك ، قال إنه رآها فى الإسكندرية ، ذكر السمك الرعاد ، قال إنها تبعث فيمن يمسكها رعدة شديدة ، يعقبها تخدير وثقل فى الأعضاء ، وهى قليلة الشوك كثيرة الدسم ووصف السلحفاة البحرية ، وقال إن المصريين يسمونها الترسة ، وهى كبيرة جداً ، تزن الواحدة بضعة قناطير ، وقال إن لحمها يقطع ويباع كلحم البقر ، ثم وصف البغدادى حيواناً آخر ، قال إنه يعيش فى النهر ، وإنه أضخم من الترسة ، قوى شديد ، يشبه الفرس ، يسمونه فرس النهر لكنه أشبه بالجاموس ، قوى الأنياب ، منتفخ البطن ، قصير الأرجل ، سبيء الخلق ، فمه واسع ، إذا فتحه كان

أشبه بالحفرة العميقة ، وقال إنه يعيش فى بحر دمياط ويهاجم المراكب ، ويفتك بمن يقع بين برائنه من ركابها . وقال إن المصريين ضجوا من الشكوى من هذا الحيوان المفترس ، وإنهم طلبوا من أهل السودان ، أن يبعثوا إليهم بمن يصيد هذا الحيوان الماكر الجبار ، فجاءت نجدة من السودان ، تحمل المزاريق الحادة ، ويضيف البغدادى أنه شاهد ذلك بنفسه ، وأنه عجب له أشد العجب .

على أن أطرف ما تحدث به عبد اللطيف البغدادى ، عن مشاهداته فى مصر ، إنما كان وصفه لنباتاتها ، والسبب فى ذلك هو أنه كان نباتياً وطبيباً ، وصلة الطبيب بالنباتات فى ذلك العصر كانت صلة قوية عظيمة ، فقد كان النباتى هو الطبيب ، والطبيب هو النباتى أو العشاب لأنه يعرف خصائص الأعشاب وصفاتها ، ويستطيع أن يميز بين النافع والضار منها .

ويتميز وصف عبد اللطيف لنباتات مصر ، بقدرته الفائقة على ذكر التفاصيل الدقيقة أحياناً ، وبراعته فى المقارنة والاستنتاج ، وهو إن جانبه التوفيق أحياناً فى بعض ما ذهب إليه ، وفق فى أغلب الأحيان ، وكانت معلوماته موسوعية عامة فى كثير من الأحيان كذلك .

وظاهر من وصفه ، وملاحظاته أنه لم يكن لديه وقت للتجريب ، فاكتمى بما استقى من معلومات لم يقم عليها دليل تجريبى .

قال عن الموز ، زعموا أن شجر الموز فى الأصل مركب من قلقاس ونوى النخل ، تجعل النواة فى نفس القلقاسة وتغرس ، ثم يلاحظ أن هذا القول ، وإن كان ساذجاً لم يخل من دليل يشهد له ، فالخس يسوغه ، ذلك أنك تجد لشجرتة سعفاً كسعف النخل سواء ، إلا أنك ينبغي أن تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض ، حتى صار كأنه ثوب خريز أخضر ، قد نشرت أوراقه

من دليل يشهد له فإن الحس يسوغه . وما أكثر الاستنتاجات العلمية الحاطة التي تعتمد على المنطق دون التجربة . إلا أن عبد اللطيف قد أوفى على الغاية في مقارنة الطريفة بين النباتات الثلاثة ، والذين يعلمون مبادئ علم النبات ، يعرفون أنها جميعاً تنتمي إلى فصائل ذوات الفلقة الواحدة ، فالوز من الفصيلة الموزية ، والقلقاس من القلقاسية ، والنخيل من النخيلية وهذه المقارنة الطريفة بين الأوراق ، وهي حقاً متشابهة ، في الشكل العام ، كما أن ورقة الموز وورقة النخل متقاربتا الشبه ، لولا ما لاحظته عبد اللطيف بحق ، من أنه ينبغي أن نتخيل الخوص ، متصلاً ببعضه ببعض ، وهذه الملاحظة الطريفة ، عن حلاوة الموز من البلح ، وتفاهته من القلقاس ، وعن خلو الموز من النوى أو ما يرى سوى القشر ، وأن الحب الذي به يشبه حب التين ، إلا أنه غاية في اللين كأنه رسم نوى الرطب ، إلا أنه لان وتفرق وانساع معه في الأكل . إنها ملاحظة جديرة بالتنويه .

وقال عن البلسان ، إنه لا يوجد بمصر ، إلا بعين شمس ، في موضع محاط به ، محتفظ به ، مساحته نحو سبعة أفدنة ، وارتفاع شجرته نحو ذراع ، وعليه قشران ، الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر ثخين ، ويستخرج منه دهن ، ذو رائحة عطرة ، غالى الثمن ، يباع بضعف وزنه فضة . وقال إن دهن البلسان ، يستخدم في الطب ، ولا يوجد إلا بمصر خاصة . وقال إن الدهن يؤخذ بطريقة تحتاج إلى خبرة ومهارة ، فتقشر الأوراق ويشدخ القشر الأعلى ، ويشق القشر الأسفل شقاً ، لا ينفذ إلى الخشب ، فيسيل منه ما يشبه الماء ، فيجمع ويوضع في زجاجات ، تسد سداً محكماً ، وتدفن في الأرض ، إلى فصل الصيف ، فتعرض للشمس ، فيطفو على سطحها دهن يجمع ، فيستعمل في شفاء بعض الأمراض المستعصية .

خضراء ، ترف ريا وطراءة ، وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس ، والشكل اكتسبه من النخل ، فعلى ذلك يكون القلقاس له بمنزلة المادة ، والنخل بمنزلة الصورة . وأما الثمر فإنك تراه أعذاقاً كأعذاق النخل ، قد تحمل شجرته خمسمائة موزة فصاعداً ، ويكون في منتهى العذق موزة تسمى الأم ، ليس فيها لحم ولا تؤكل ، وإذا شقت وجدت مؤلفة من قشور كالبصل ، كل قشرتين منهما متقابلتان ، وتحت كل قشرة عند القاعدة ، زهر أبيض كزهر النارج ، عدده إحدى عشرة في صفين لا ينقص عن هذا العدد ولا يزيد عن واحد إلا نادراً ، وتتشق هذه القشور من تلقاء نفسها على التدريج ، ويتساقط الزهر ، وتعتقد الموزة الصغيرة ، وقشر الموزة قشر رطب إلا أنه غليظ جداً بما اكتسبه من مادة القلقاس ، ولحمه حلوة تفاهة ، كأنه رطب مع خبز ، فالحلاوة من الرطب ، والتفاهة من القلقاس . وأما شكل الموزة ، ففي شكل الرطوبة ، إلا أنها بقدر الخيارة الكبيرة ، تميل إلى الصفرة والبياض ، فالصفرة من الرطب ، والبياض من القلقاس ، ثم إنك تجدها شحمة واحدة ، ليس فيها نوى ، ولا ما يرى سوى القشرة فقط ، يشترط القشر بسهولة ، وإذا تأملته في ضياء ، ألفت في وسطه حباً كثيراً أصغر من الجردل ، يضرب إلى الشقرة ، شبيه بحب التين ، إلا أنه في غاية اللين ، فهذا كأنه رسم نوى الرطب ، إلا أنه لزيادة رطوبته لان وتفرق واختلط باللحم ، وانساع معه في الأكل .

ما أشد إعجابي بهذا الوصف الجميل ، وبهذه المقارنة البارة ، رغم النتيجة الحاطة التي وصل إليها ، من « أن الموز مركب من قلقاس ونوى نخل ، تجعل النواة في نفس القلقاسية وتغرس » ، وطبيعي أنه لو انفسح الوقت أمام البغدادي وأجرى هذه التجربة لاقتنع بخطأ الاستنتاج الذي ذكره ، ويظهر أنه أحس بذلك فقال ، وهذا القول ، « وإن كان ساذجاً لا يخلو

وعصارة القرظ ، تتخذ منها الأقافيا التي تستعمل في الطب . قال ومما يكثر بمصر « خيار شنبر » وهو شجر عظيم يشبه شجر الخروب ، له زهر كبير أصفر ، ومنظر حسن ، وإذا عقد تدلى منه ثمر يشبه العصى الغليظة ، وهذه ملاحظة بارعة أخرى ، فخيار شنبر والخروب نباتان ينتميان إلى نفس الفصيلة وهما يشتركان في صفات كثيرة ، وأوجه الشبه بينهما متعددة .

وكذلك تابع البغدادي ، وصفه لكثير من النباتات التي شاهدها بمصر ، كما وصف كثيراً من حيواناتها . ولأنه ليسفح وصفه بملاحظات شخصية دقيقة ، وقد شارك البغدادي غيره من العلماء وهم كثير زاروا مصر ووصفوا حيواناتها ونباتاتها ، شاركهم في الإشارة إلى اللسان ووجوده بعين شمس خاصة ، وإلى السنط أو الشوكة المصرية ، وإلى الأفيون الذي يتخذ من الحشخاش في مصر خاصة .

إلا أني ألاحظ أن عبد اللطيف يصف وصف الرحالة المشاهد بنفسه ، وهذه ميزة تميزه عن كثير غيره ممن يروى عن غيره ، كما تميز بدقة الملاحظة أحياناً ، والثابت في أغلب الأحيان أنها ملاحظات شخصية ، سجلها بنفسه أثناء تجواله ، وليس بالكتاب كثير إشارة إلى غيره من العلماء ، فهو في كتابه هذا رحالة .

وقال عن الجميز نخرج ثمرته من الخشب ، لا تحت الورق ، ويخلف في السنة سبعة بطون ، ويؤكل أربعة أشهر ، وشجرته كبيرة ، كشجرة الجوز الغاتية ، ويخرج من ثمرته وغصنه ، إذا فصدت لبن أبيض ، إذا طلى به ثوب أو غيره صبغه أحمر . وينقل عن جالينوس قوله ، إن الجميز بارد رديء للمعدة ، ولبن شجرته يلصق الجراح ، ويشفي الأورام ويلطخ على لسع الهوام ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونيذ حاد .

وكذلك وصف البغدادي الأترج ، والأترج الحلو ، قال ومن العجائب النادرة الليمون المركب ولا يوجد إلا بمصر ، وهو أصناف كثيرة ، ومنه نوع في حجم البطيخة . والليمون الختم ، وهو أحمر شديد الحمرة ، أفنى حمرة من النارج ، شديد الاستدارة ، مفلطح من رأسه ، وأسفله مختوم فيه بختمين . قال موصنف من التفاح ، يوجد بالإسكندرية ، وراثته تفوق الوصف ، وهو صغير جداً قاني الحمرة ، قال ومما تختص به مصر الأفيون ، وهو يجنى من الحشخاش الأسود بالصعيد .

وقال عن العبدلي «العبدلاوي» ، إنه نسب إلى عبدالله بن طاهر وإلى مصر في عهد المأمون ، قال ويسميه المزارعون البطيخ الديمري نسبة إلى دمية ، وهي قرية مصرية . وقال عن السنطة وتسمى الشوكة المصرية . ورقها كورق القرظ ، تدبغ به الجلود ،

